بحـــــث

في

جواب سؤال عن

الصبر والحلم

هل هما متلازمان أم لا ؟

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقته وعلَّقت عليه وخرَّجت أحاديثه

محفوظة بنت علي شرف الدين

أم الحسن

وصف المخطوط :

١- **عنوان الرسالة من المخطوط** : بحث في جواب سؤال عن الصبر والحلم هل هما متلازمان أم لا .

٢- **موضوع الرسالة** : آداب .

٣- **أول الرسالة** : الحمد لله وبعد : فهذا الجواب من العلامة المحقق محمد بن علي الشوكاني كثر الله إفادته لما سألته هل الصبر والحلم متلازمان ؟ ...

٤- **آخر الرسالة** : حرره كاتبه محمد بن علي الشوكاني غفر الله له ولوالديهما ووالدينا والمؤمنين أجمعين آمين آمين .

٥- **نوع الخط** : خط نسخي جيد .

٦- **عدد الصفحات** : ٤ صفحات .

٧- **عدد الأسطر في الصفحة** : ٢٨ سطراً .

٨- **عدد الكلمات في السطر** : ١٠ كلمات .

٩- **الرسالة من المجلد الرابع من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني** .

[صورة الصفحة الأولى من المخطوط]

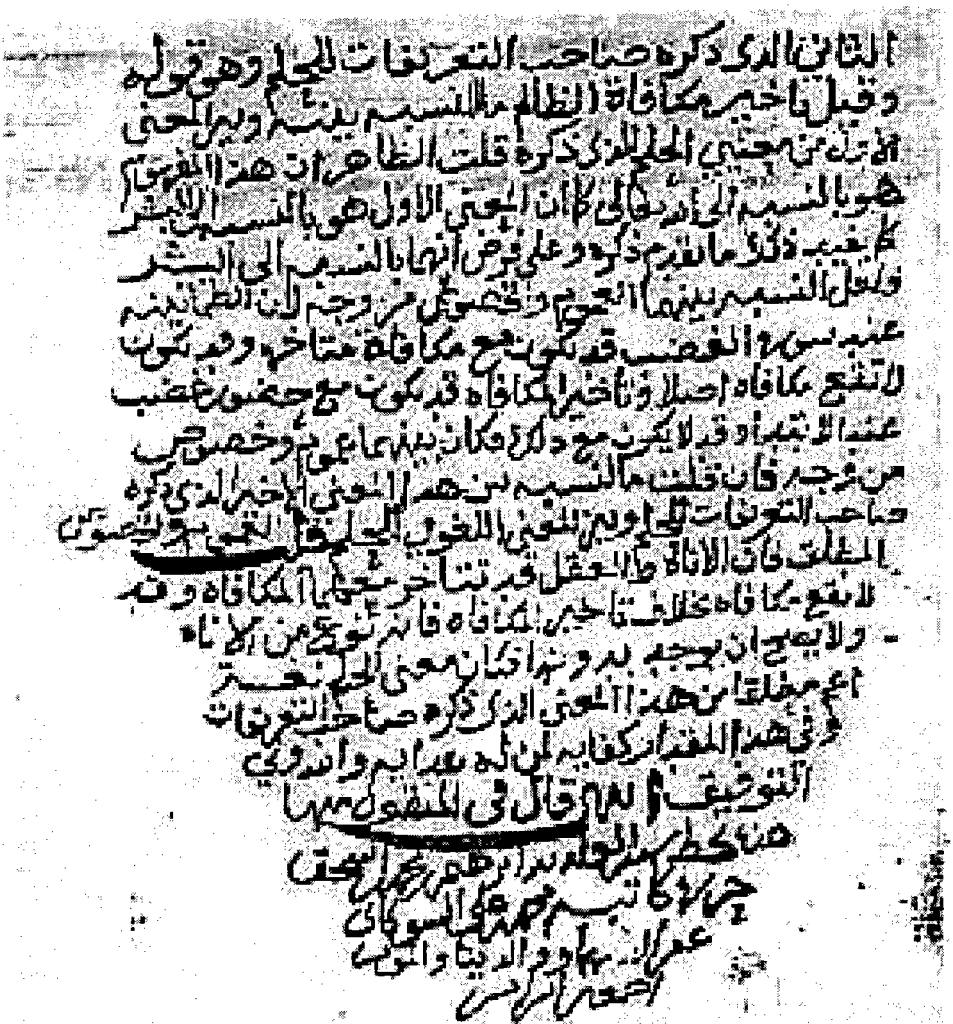

[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط]

الحمد لله وبعدُ :

فهذا الجواب من العلامة المحققِ محمد بن علي الشوكاني – كثر الله إفادته – لما سألته : هل الصبر والحلمُ متلازمان ؟ وأيهما أفضل ؟ فقال :

الجواب – بمعونة الوهاب – أن معنى الصبر لغةً نقيض الجزَعِ[1] ، وقال الشريف في التعريفاتِ[2] : الصبرُ هو تركُ الشكوى من ألمِ البلوى لغير الله إلا إلى الله تعالى ، لأن الله أثنى على أيوبَ بالصبر بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾[3] مع دعائه في دفع الضرِّ عنه بقوله : ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4] فعلمنا أن العبدَ إذا دعى الله في كشف الضرِّ عنه لا يقدحُ في صبرِه ، لئلا يكون كالمقاومة مع الله ، ودعوى التحمّل لمشاقه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[5] فإن الرضى بالقضاء لا يقدح فيه الشكوى إلى .....

---

(١) : انظر " لسان العرب " (٢٧٦/٧) .

وقال الراغب الأصبهاني في " مفردات ألفاظ القرآن " (ص٤٧٤) :

الصبر : الإمساك في ضيق يقال : صَبَرْتُ الدابة حبستها بلا علف .

الصبر : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيان حبسها عنه . فالصبر لفظ عام ، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمصيبةٍ سمّي صبراً لا غير . ويضاده الجزع . وإن كان في محاربة سمّي شجاعة ويضاده الجبن . وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصدر . ويضاده الضَّجر . وإن كان إمساك الكلام سمّي كتماناً ويضاده المذل .

وقد سمّى الله كل ذلك صبراً ونبَّه عليه بقوله :﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ [الحج : ٣٥] .

انظر : " مجاز القرآن " (٦٤/١) ، " معاني القرآن وإعرابه " للزجّاج (٢٤٥/١) .

(٢) : (ص١٣٦) .

(٣) : [ص~ : ٤٤] .

(٤) : [الأنبياء : ٨٣] .

(٥) : [المؤمنون : ٧٦] .

الله[1] ، ولا إلى غيره ، وإنما يقدح في الرضى بالمقضي ونحو ما خوطِبْنَا بالرضى بالمقضي

= قال ابن القيم في " عدة الصابرين " (ص٣٣) : " والتحقيق أن في الصبر معاني ثلاثة : المنع والشدة والضم ، ويقال صبر إذا أتى بالصبر ، وتصبر إذا تكلفه واستدعاه ، واصطبر إذا اكتسبه وتعلمه وصابر إذا وقف خصمه في مقام الصبر ، وصَبَّر نفسه وغيره بالتشديد إذا حملها على الصبر : واسم فاعل صابر وصبار وصبور ومصابر ومصطبر وأما صبار وصبور فمن أوزان المبالغة ... " .

حقيقة الصبر :

قيل حقيقة الصبر فهو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

قال الجنيد بن محمد : الصبر : تجرع المرارة من غير تعبس .

وقال ذو النون : الصبر " التباعد عن المخالفات ، والسكوت عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة " .

وقيل : الصبر هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى .

انظر : " عدة الصابرين " (ص٣٤-٣٥) .

(١) : وأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر ، قال تعالى في قصة أيوب : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص : ٤٤] . مع قوله : ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

فالشكوى نوعان :

١- الشكوى إلى الله وهذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب : ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف : ٨٦] . مع قوله : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف : ٨٣] .

٢- شكوى المبتلى بلسان الحال والمقال فهذا لا تجامع الصبر بل تضاده وتبطله .

انظر : " الإحياء " (٥/٦٧-٧٠) ، " عدة الصابرين " (ص٣٦) .

قال ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (١٠/٦٦٦-٦٦٧) : " وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقرأ في صلاة الفجر : ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف : ٨٦] ، ويبكي حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف بخلاف الشكوى إلى المخلوق . قرئ على الإمام أحمد في مرض موته أنَّ طاووساً كره أنين المريض ، وقال : إنّه شكوى ، فما أنَّ حتى مات .

وذلك أن المشتكي طالب بلسان الحال ، إما إزالة ما يضره أو حصول ما ينفعه والعبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه ، كما قال تعالى :﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝﴾ =

والصبرُ هو المقضي به إلى آخر كلامِه[1] .

وأما الحلم فهو الأناةُ والعقلُ عند أهل اللغة[2] ، وقال الشريف في التعريفات[3] هو الطمأنينةُ عند سورة الغضبِ . وقيل : تأخيرُ مكافاتِ الظالمِ انتهى .

وأما الصبور[4] الذي هو من أسماء الله[4] – سبحانه وتعالى – فقد قال في .....

= [الشرح : ٧-٨] وقال لابن عباس : " **إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله** " .

أخرجه أحمد (٢٩٣/١) والترمذي رقم (٢٥١٦) وقد تقدم .

ولا بد للإنسان من شيئين . طاعته بفعل المأمور ، وترك المحظور ، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور ، فالأول : هو التقوى ، والثاني : هو الصبر .

(١) : أي الجرجاني في " التعريفات " .

(٢) : انظر " لسان العرب " (٣٠٤/٣) " مختار الصحاح " (ص٦٤) .

قال الراغب الأصبهاني في " مفردات ألفاظ القرآن " (ص٢٥٣) : الحِلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام قال تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ﴾ [الطور : ٣٢] ، قيل معناه عقولهم وليس الحِلْمُ في الحقيقة العقل ، لكن فسّره بذلك لكونه من مسبِّبات العقل ، وقد حَلُمَ وحلَّمه العقل وتحلَّم ، وأحلمت المرأة : ولدت أولاداً حلماء قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود: ٧٥]، وقال سبحانه : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات : ١٠١] أي : وجدت فيه قوة الحلم .

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ ﴾ [النور : ٥٩] أي : زمان البلوغ وسمي الحلم لكون صاحبه جديراً بالحلم .

(٣) : (ص٩٨) .

(٤) : الصّبور لم يرد به التنزيل وإنما ورد في الصحيح – أخرجه البخاري رقم (٧٣٧٨) ومسلم رقم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما أحدٌ أصبرُ على أذى سمعه من الله . يدّعون له الولد ثم يُعافيهم ويرزقهم** " .

وفي رواية ما لفظه : " **لا أحد أصبرُ على أذىً يسمعه من الله عز وجل إنّه يشرك به ويجعلُ له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم** " .

قال القرطبي في " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " (١٣٨/١) : واختلفوا في تأويله – الصبور – على ثلاثة أقوال : =

القاموس[1] والنهاية[2] : هو الذي لا يعاجلُ العُصاةَ بالانتقام ، قال في النهاية[3] : وهو من أبنية المبالغة ، ومعناه قريب من معنى الحليمِ ، والفرق بينهما أن المذنبَ لا يأمن العقوبةَ كما لا يأمنها في صفة الحليمِ . وفيه : " **لا أحد أصبرَ على أذى يسمعه من الله عز وجل**"[4] أي أشدُّ حلماً ثم فاعل ذلك ، وترك العقوبة . انتهى .

والحاصل أن الصبر والحلم باعتبار المعنى اللغوي يمكن أن يقال أن بينَهما عموماً وخصوصاً من وجه ، لأن الصبر الذي هو تركُ الجزع قد يكون اختياراً وقد يكون اضطراراً ، فإن الصبر الاضطراريَّ[5] صبرٌ عند أهل اللغة ، لأن صاحبه قد ترك الجزعَ .

= ١- إنّه من صفات الذات ولكن يرجع إلى إرادة تأخير العقوبة والحليم يرجع إلى إسقاطها .

٢- إنّه من صفات ذاته ، وإنّه بمعنى حليم . قاله ابن فورك والقشيري .

٣- إنّه من صفات الفعل ، ويرجع إلى تأخير العقوبة وإليه ذهب أبو حامد .

والصحيح من هذا أنّ الصبور يرجع إلى الصبر إرادة تأخير العقوبة وهو المختار وذلك معنى قوله : " **لا أحد أصبر من الله** " فإنه يعافيهم ويرزقهم وهم يدعون له الصاحبة والولد فأشار إلى تأخير العقوبة عن الكبائر في الدنيا . وهذا المعنى موجود في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل : ٦١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

وقال المازري في " المعلم بفوائد مسلم " (١٩٧/٣) : حقيقة الصبر منع النفس من الانتقام أو غيره فالصبر نتيجة الامتناع فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى لذلك قال القاضي عياض في " إكمال المعلم بفوائد مسلم " (٣٣٦/٨) والصبور من أسماء الله تعالى وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى إلا أن الفرق بينهما أن الصبور يخشى عاقبة أخذه ، والحليم هو العفو الصفوح مع القدرة على الانتقام وهذا الفرق بين الصبر والحلم .

(١) : (ص٥٤١) .

(٢) : (٧/٣) .

(٣) : (٧/٣) .

(٤) : تقدم تخريجه **وهو حديث صحيح** .

(٥) : قال ابن القيم في " عدة الصابرين " (ص٤٣) : الصبر ضربان ضرب بدني وضرب نفساني وكل منهما=

وقد شاع ذلك في لسان أهل اللغةِ وذاع . قال الشاعر :

ليـــس لمـــن له حيلةٌ موجودةٌ أولى من الصبر

وقال آخر :

أرى الصبرَ محموداً وعنه مذاهبٌ فكيفَ إذا ما لم يكن عنه مذهبُ

هناك بحقٍّ الصبرِ والصبرُ واجبٌ وما كان منه للضـــرورةِ أوجبُ

وهكذا يطلق الصبر على من صبر عند سورة الغضبِ[1] ، وعلى من صبر لنـــزول مـــا

= نوعان : اختياري واضطراري فهذه أربعة أقسام :

١- البدني الاختياري كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختياراً وإرادة .

٢- البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك .

٣- النفساني الاختياري ، كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً .

٤- النفساني الاضطراري ، كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه .

(١) : قيل : إذا كان الصبر عند إجابة داعي الغضب سمي (حلما) وضده تسرعاً .

- وإنْ كان صبراً عن شهوة الفرج المحرمة سمي (عفة) وضدها الفجور والزنا .

- وإن كان عن شهوة البطن وعدم التسرع إلى الطعام سمي (شرف النفس وشـــبع النفـــس) . وضـــده الشراهة . ووضاعة النفس .

- وإن كان صبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام سمى (كتمان السر) وضده إفشاء السر .

- وإنْ كان صبر عن فضول العيش سمي (زهداً) وضده حرصاً .

- وإنْ كان على قدر يكفي من الدنيا سمي (قناعة) وضدها الحرص .

- وإن كان عن إجابة داعي العجلة سمي (وقاراً وثباتاً) وضده طيشاً وخفة .

- وإن كان عن إجابة داعي الفرار والهرب سمي (شجاعة) وضده جبناً وخوراً .

- وإن كان عن إجابة داعي الانتقام سمي (عفواً) وصفحاً وضده انتقاماً وعقوبة .

- وإن كان عن إجابة الداعي الإمساك والبخل سمّي (جوداً) وضده بخلاً .

- وإن كان عن إجابة داعي الطعام والشراب في وقت مخصوص سمّي (صوماً) .

- وإن كان عن إجابة داعي العجز والكسل سمّي (كيْساً) .

- وإن كان عن إجابة داعي إلقاء الكلّ على النّاسِ وعدم حملهم كلّهم سمّي (مروءة) .

يوجبُ الحزنَ والجزعَ ، ويطلق الصبر أيضاً على من صبر أناةً وسكوتاً ، وعلى من صبر وهو على غير هذه الصفةِ .

والحلم يقال على من سكن عند سورة ، وتلقَّاها بالسكون والطمأنينةِ والأناةِ [١أ] ، ويطلق أيضاً على من كان متأنياً في أموره غيرَ مستعجلٍ ، وإن لم يكن هناك ما يقتضي الجزعَ والغضبَ . ولهذا قال – صلى الله عليه وآله وسلم – للرجل الذي وفد مع قومه على رسول الله ، فلما رأَوا رسولَ الله أقبلوا إليه مسرعينَ ، وتأخَّر الرجل حتى لبس حُلَّتَهُ ثم أقبل في سكون وتُؤَدَةٍ ، فقال رسول الله : " **إن فيكَ خصلتين يحبُّهما الله ورسولُهُ : الحِلم والأناةُ** "[1] أو كما قال : والقصةُ مشهورة[2] .

---

(١) : **وهو حديث صحيح** .

- أخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٨/٢٦) والبيهقي في " السنن الكبرى " (١٠٤/١٠ ، ١٩٤) وفي " دلائل النبوة " (٣٢٥/٥-٣٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري .
- وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٧/٢٥) والبخاري في " الأدب " رقم (٥٨٦) والترمذي رقم (٢٠١١) والطبراني في " الكبير " رقم (١٢٩٦٩) والبيهقي في " السنن الكبرى " (١٠٤/١٠) من حديث ابن عباس .

(٢) : أخرجها ابن حبان في صحيحه رقم (٧٢٠٣) وأبو يعلى (٢٤٣/١٢-٢٤٤) رقم (٦٨٤٩/٢) عن الأشجِّ العصري أنّه أتى النبي ﷺ في رفقةٍ من عبدِ القيسِ ليزورَهُ فأقبلُوا ، فلَمَّا قدِمُوا . رفَعَ لهم النبيُّ ﷺ فأناخوا ركابهم ، فابتدَرَ القومُ و لم يلبسُوا إلا ثيابَ سَفَرِهِمْ ، وأقام العَصَريُّ فعقل ركائبَ أصحابِهِ وبعيرهُ ثم أخرج ثيابَه من عَيْبَتِه وذلك بعين رسول الله ﷺ ثم أقبل إلى النبيِّ ﷺ فسلَّم عليه فقال له النبي ﷺ : " **إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله . قال : ما هما ؟ قال : الأناة والحلم** " قال : شيء جُبلتُ عليه أو شيءٌ أتَخلَّقُهُ ؟ قال : " **لا بل جُبِلْتَ عليهِ** " قال الحمد لله .

ثم قال ﷺ : " **معشر عبد القيس ، مالي أرى وجوهكم قد تغيّرت** " قالوا : يا نبي الله نحن بأرض وخمةٍ ، كنّا نتخذ من هذه الأنبذة ما يقطع اللحمان في بطوننا ، فلما نهينا عن الظروف ، فذلك الذي ترى في وجوهنا ، فقال النبي ﷺ : " **إن الظروف لا تحِلُّ ولا تحرِّم ، ولكن كل مسكر حرام ، وليس أن تحبسوا فتشربوا ، حتى إذا امتلأت العروق تناحرتم ، فوثبْ الرجل على ابن عمه فضربه بالسيف فتركه أعرج** " . قال : وهو يومئذ في القوم الأعرج الذي أصابه ذلك . =

ويطلق الحلم أيضاً على ترك الطيشِ ، وتجنُّب أسباب الحمَقِ على اختلافِ أنواعـــها ، وإن لم يكن هناك سبب من الأسباب المقتضيةِ للجزعِ ، فمادةُ اجتماع الصبر والحلم هـــي حيثُ يكون سببٌ من أسباب الجزع ، فيتلقّاه الإنسان بالصبرِ اختياراً ،ويكون ذلك علـى هيئة فيها سكونٌ وأناةٌ وطمأنينةٌ ، فإنه يقال لهذا صابرٌ حليمٌ[1] .

= **قلت** : فيه المثنى بن ماوي العبدي أبو المنال أحد بني غنيم ذكره ابن حبان في " الثقـــات " (٤٤٤/٥) وأورده البخاري في صحيحه – في " التاريخ الكبير " – (٤٢٠/٧) وابـــن أبي حـــاتم – في " الجـــرح والتعديل " – (٣٢٦/٨) فلم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً . وباقي رجاله ثقات .

وأورده في " المجمع " (٦٣/٥-٦٤) وقال : " رواه أبو يعلى وفيه المثنى بن ماوي أبو المنازل ذكره ابن أبي حاتم ، و لم يضعفه و لم يوثقه ، وبقية رجاله ثقات " .

(١) : قال الخطابي : الحليم : هو ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضبٌ ، ولا جهل جاهل ، ولا عصيـــان عاصٍ ، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم إنما الحليم هو الصَّفوح مع القدرة ، المتأني الـــذي لا يعجل بالعقوبة ... فإن قيل فكيف يتضمّن الحلم الأناة ، وقد قال رسول الله ﷺ لأشجِّ عبد القيـــس : " **إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة** " فعدّدهما ، فاعلم أنْ الأناة قد تكون مع عدم الحِلـم ، ولا يصحَّ الحلْمُ أبداً إلا مع الأناة ، والأناةُ ترك العجلة ، فقد تكون لعارضٍ يعرض . ولا يكون الحلـــم أبداً إلا مشتملاً على الأناة متأمِّله . وكذلك لا يكون الحليم إلا حكيماً واضعاً للأمور مواضعها ، عالمـــاً قادراً فإن لم يكن قادراً كان حلمه ملتبساً بالعجز والوهن والضعيف ، وإن لم يكن عالماً كـــان تركـــه الانتقام للجهل ، وإن لم يكن حكيماً فربما كان حلمه من السّفه وتتبع أمثال هذا ، فإذا علمت أن هـــذا الاسم يدل على صفاتٍ وأحوالٍ وأفعالٍ وترك وتوقيت فقد يظهر من ذلك على المسمى به وصف جملـيٌّ

وقال أصحاب النقل : اختلف الناس في وجه وصف الباري بالحلم على ثلاثة أقوال :

الأول : أنّه عبارة عن نفي الطيش والسّفه وكلِّ ما يضادّ الخلق المحمود الذي هو الصبر والثبـــات في الأمور ، وعلى هذا يكون وصفاً للذات ، سلبياً لتقدّس ذاته عن النقائص واستبدادها بالكمال الخالص .

الثاني : أنّه من صفات الأفعال يجري مجرى الإحسان والإفضال .

الثالث : أنه إرادة تأخير العقوبة ، قـــال تعـــالى : ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يونس : ١١] .

وانظر : " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " (٩٥/١-٩٦) .

ومادة افتراق الصبر هي فيما عدا هذه الصورةَ من صور الصبر التي قدمنا بها ، ومـــادة افتراق الحلمِ هي أيضاً فيما عدا هذه الصورة من صور الحلمِ التي قدمنا بها . ولا ينافي هـذا التقريرُ ما قدمنا عن أهل اللغةِ في تفسير صبورٍ الذي هو من أسماء الله – سبحانه – ، فإن الموجب لتخصيصه بذلك المعنى الخاصِّ هو عدمُ جواز إطلاقه على الله – سبحانه – بمعـنىً يخالفُ هذا المعنى .

فإن قلت : إذا كانت النسبةُ بين الصبر والحلم هي العمومُ والخصوصُ من وجه ، فـهل تصحُّ هذه النسبة بينهما على ما نقلَه صاحب التعريفات في كلامه السابق من أن الصـــبرَ تركُ الشكوى من ألم البلوى لغير الله ، والحلمَ الطمأنينةُ عند سورة الغضب[1] ؟.

قلت : النسبة التي ذكرناها هي باعتبار المفهوم اللغوي المنقولِ في كتب اللغة ، وكلام التعريفات لا يبعُد أن يمكنَ فيه مثلُ هذه النسبة ، فإنَّ ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله قد يكون التركُ مع وجود سببٍ في البلوى يوجب الغضبَ ، فيكون حلماً ، وقد يكـــون مع وجود سبب للشكوى لا يوجبُ الغضب كالمرض ونحوه فلا يكون حِلماً ، وقد يكون الحلم عند الغضب بترك الشكوى إلى الغير مع وجود سبب يقتضي الجزعَ ، فيكون ذلـك صبراً . وقد يكون الحلم بحصول الطمأنينةِ عند سورة الغضب مع حصول الشكوى علـى الغير فلا يكون ذلك صبراً ، فكان بينهما من هذه الحيثيةِ عمومٌ وخصوصٌ من وجه ، فقد كانت هذه النسبة [١ب] بين المعنيين الاصطلاحيين كما كانت بين المعنيين اللغويين[2] .

فإن قلت :فما النسبةُ بين معنى الصبر عند أهل اللغة ، وبين معناه على كلام صـــاحب التعريفات ؟.

قلت : العموم والخصوص المطلق ، فإن الصبرَ عند أهل اللغةِ بتركِ الجزع ،سواءٌ كـــان

---

(١) : انظر بداية الرسالة .

(٢) : قال القرطبي في " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " (١/٩٤) : " والصبر داخل تحت الحلم ، إذ كـــل حليم صابرٌ " .

ذلك بترك الشكوى عند ألم البلوى لغير الله أو بتركِ نوعٍ من أنواع الجزع غير ذلك .

فإن قلت : فما النسبة بين معنى الحلم عند أهل اللغةِ ، وبين معناه على كلام صاحب التعريفات ؟.

قلت : العموم والخصوص المطلق أيضاً ، فإن الحلمَ وهو الأناةُ والعقلُ قد يكون عند سورة الغضب ، وقد يكون عند غيرها ، فإن كان المفهوم الذي ذكره صاحب التعريفات للحلم والصبرِ هو باعتبار الاصطلاحِ فلا مُشاحَّةَ فيه ، وإن كان باعتبار اللغة فهو غير صحيح ولا مقبول .

إذا تقرر هذا فالصور التي يقال لها صبرٌ[1] ، ويقال لها حلم لا سؤالَ عنها ، لأنها تتناولُها أدلةُ الثناء على الصبر ، وأدلة الثناء على الحلم ، كما يصدق عليها أنها حلم ، ويصدُق عليها أنها صبر .

وأما الصور التي هي صبر وليست بحلم ، والصور التي هي حلم وليست بصبر فكلُّها خصالٌ فاضلةٌ قد ورد الثناءُ عليها وعلى صاحبها في الكتاب[2] والسنة[3] . وورد الترغيب فيها ، وكثرة الثواب لفاعلها . لكن الأدلة الواردةَ في الترغيب في الصبر أكثرُ، لا سيما في الكتاب العزيز ، فإن الآيات في ذلك كثيرةٌ جداً لو لم يكن منها إلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[4] فإنه لم يرد في جزاء الحلمِ وأجرِه ما يدلُّ

---

(١) : تقدم ذكرها .

(٢) : **منها** : قال تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

(٣) : **منها** : ما أخرجه البخاري رقم (٦٠٢٤ ، ٦٣٥٦) ومسلم رقم (٢١٦٥/١٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **إنّ الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله** " .

(٤) : [الزمر : ١٠] . =

هذه الدلالةَ ، ويفيد هذه الفائدةَ ، بل لم يرد في غالب القُرَبِ التي هي أركان الإسلام ، وما هو من الواجبات المؤكَّدة ما يفيد هذه الفائدة، فإن الله – سبحانه – قد جعل جزاءَ الطاعة محدوداً بحدود سمّاها وبيَّنها كقوله في أجر الحسنة عشر[1] أمثالها إلى سبعمائة

= وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

وقال ﷺ : " **... ومن يستعفف يعفّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبّر يصبِّره الله ، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر** " .

أخرجه البخاري رقم (١٤٦٩ ، ٦٤٧٠) ومسلم رقم (١٢٤ / ١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

(١) : يشير إلى قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

قال القرطبي في " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " (١٤١/١) : فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الصبور على الإطلاق إنما هو الله عزَّ وجل . ويجب على العبد أن يصبر ويتصبر ويصابر وقد أمره الله بذلك فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] فأمر سبحانه بالصبر على ما يخصه وعلى مصابرة الأعداء والمداومة على الصبر حتى يتخذه إلفاً وصاحباً وخلاً ومؤانساً وقد أخبر أنه يحب الصابرين وأنّه معهم والصابرون جمع صابر .

والصابر أعلى مقاماً من المتصبر . مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها : " **اتقي الله واصبري** " الحديث وفيه فقال : " **إنّما الصبر عند الصدمة الأولى** " – أخرجه البخاري رقم (١٢٨٣ و ٧١٥٤) ومسلم رقم (٩٢٦/١٥) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً – وقلَّ ما يكون الصبر عند الصدمة الأولى من المتصبّر ، وإنما يكون من الصابر أو الصبّار أو الصبور ، هي مقامات بعضها فوق بعض ، فالمتصبر المتكلف ليكتسب الصبر المرّة بعد المرّة وذلك بحسب مغالبة الهوى ، والصابر هو الدائم على قهر هواه وملكه وشهواته .

فقلَّ ما يتكلّف الصبر لأنه قهر سلطان الهوى ، وملك النفس بزمام التقي والصبّار هو المتمرن في الصبر لتكرره مع الاختيار منه ، حتى لا يفكر فيما يترقبه من ذلك ، وفيهم قال الله تعالى : =

ضعف كما تفيد ذلك نصوص الكتاب[1] والسنة[2] ، وأما كون الأجر بغير حساب فهذا جزء لا يُقادرُ قَدَرُهُ ، وتفخيم لا يساويه غيرُه . فإنا لو فرضنا أنه قد ورد النص بأن أجر الطاعة الفلانية ألفُ ألفِ ألف ضعفٍ ، أو أكثر من ذلك لكان قوله : بغير حساب أكثرَ من ذلك ، وأوسعَ وأفخمَ .

= ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة : ١٥٦-١٥٧] .

قال الأُقليشي : واتصاف العبد بالصبر عن الميل إلى دواعي الهوى ليس من صفات الملائكة . إذ هو حبس النفس على الهوى الداعي إلى العصيان ، وبهذا فضّل العلماء الإنسان على المَلَك . إذ الملك خلق مبرأ عن الهوى والشهوة فثبت على الطاعة والإنسان سُلّطت عليه دواعي الهوى ، فلمّا قمعها الصبر وثبت على طاعة الله كان أشرف من المَلَك ، وأعلى . الحديث .

قال بعض العلماء : ذكر الله الصبر في القرآن في خمسة وسبعين موضعاً فلا بدَّ من الصبر عاجلاً أو آجلاً فمن لم يصبر كما أمره الله عز وجل في الدنيا حيث ينفعه صبره صبر لا محالة في الآخرة حيث لا يجدي عليه الصبر شيئاً .

قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ [الطور : ١٦] .

ويقولون : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١ ﴾ [إبراهيم : ٢١] .

إن قوماً صبروا في الدنيا فلم ينفعهم بل ضرّهم ذلك قال الكافرون : ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا ﴾ [الفرقان : ٤٢] .

إنّما الصبر الحق ما وافق الحق وخالف الهوى ، ووافق طاعة المولى . ونقول ألهمنا الله الصبر ورزقناه بمنه قال ﷺ : " **من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ولن تعطوا عطاءً خيراً وأوسع من الصبر** " . تقدم خريجه .

(١) : قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

(٢) : قال ﷺ : " **من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت بسبعمائة ضعف** " أخرجه الترمذي رقم (١٦٢٥) والنسائي (٤٩/٦) وابن حبان رقم (٤٦٢٨) والحاكم (٨٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي . من حديث خريم بن فاتك ﷺ . **وهو حديث صحيح** .

فالحاصل أن خصلتي الصبر والحلم يجتمعانِ في كون كل واحدة منها خصلةً فاضلةً موجبةً للأجر ، محبوبة إلى الله وإلى رسوله . وأما مقدار الأجر والثواب فالصبر أكثر أجراً وأوسع جزاء ، وأعظم مثوبةً . والله أعلم .

فإن قلت : المفهوم [٢أ] الثاني الذي ذكره صاحب التعريفات للحلم وهو قوله : وقيل: تأخير مكافأة الظالمِ ، ما النسبة بينه وبين المعنى الأول من معنيي الحلم الذي ذكره ؟.

قلت : الظاهر أن هذا المفهومَ هو بالنسبة إلى الله تعالى[1] ، كما أن المعنى الأول هو بالنسبة إلى البشر ، كما يفيد ذلك ما تقدم ذكره . وعلى فرض أنهما بالنسبة إلى البشر فلعلَّ النسبة بينهما العمومَ والخصوصُ من وجه ، لأن الطمأنينة عند سورة الغضب قد تكون مع مكافأة متأخرةٍ ، وقد يكون لا تقع مكافأةً أصلاً ، وتأخير المكافأة قد تكون مع حضور غضبٍ عند الابتداء ، وقد لا يكون مع ذلك ، فكان بينهما عموم وخصوص من وجه .

فإن قلت : ما النسبة بين هذا المعنى الأخير الذي ذكره صاحب التعريفات للحلم ، وبين المعنى اللغوي ؟.

قلت : العموم والخصوص المطلقُ ، فإن الأناة والعقلَ قد تتأخَّر معهما المكافأةُ ، وقد لا تقع مكافأة بخلاف تأخيرِ المكافأةِ ، فإنه نوع من الأناةِ ولا يصح أن يوجد بدونها ،

---

(١) : أما اتصاف الله سبحانه بالحلم بمعنى البراءة عن الطيش فمعلوم بالبرهان المؤدي إلى معرفة كمال الله تعالى وأما اتصافه بالحلم بمعنى تأخير العقوبة أو رفعها ، فأحدهما معلوم بالمشاهدة ، والثاني بالموارد النقلية وإجماع أهل الملة الحنيفية ، أما تأخير العقوبة في الدنيا عن الكفرة والفجرة من أهل العصيان فمشاهد بالعيان ، لأنا نراهم يكفرون ويعصون ، وهم معافون في نعم الله يتقلبون ، وأما رفع العقوبة في الأخرى فلا يكون مرفوعاً إلا عن بعض من استوجبها من عصاة الموحدين ، وأمّا الكفار فلا مدخل لهم في هذا القسم ولا لهم في الآخرة حظ من هذا الاسم .

" الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " (ص٩٧) .

فكان معنى الحلم لغةً أعمُّ مطلقاً من هذا المعنى الذي ذكره صاحب التعريفات .

وفي هذا المقدار كفايةٌ لمن له هداية . والله ولي التوفيق . انتهى .

قال في المنقول منها : هذه بخط سيدي العلامةِ إبراهيمَ بنِ محمد بن إسحاقَ ، حـــرره كاتبه محمد بن علي الشـــوكاني – غفر الله له ولوالديهما ووالدينا والمؤمنين أجمعـــين – آمين آمين .